لغة خطاب المرأة في سورة يوسف

د. فاطمة محمد العليمات * د. منى محمد محيلان **

تاريخ وصول البحث: ٢٠١١/١/٨م تاريخ قبول البحث: ٢٠١١/٧/٧م

ملخص

تسعى هذه الدّراسة للكشف عن خطاب المرأة في سورة يوسف في مستويات الدّرس اللغويّ جميعها: الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدّلالي، والأسلوبي، وقد كشفت الدّراسة أن هذه الآيات التي تناولت خطاب المرأة، فيها أنواع مختلفة من المستويات الصوتيّة من حيث تكرار الصوت الواحد وتناسقه مع الحالة التي يصورها، والمقاطع الصوتيّة الواضحة فيها، وفي المستوى الصرفي، بينت الدّراسة الاستعمال المتميز للبنى الصرفيّة المختلفة، مع الربط بين هذه البنى وموضوع الآيات، وفي المستوى التركيبي النحوي كشفت الدّراسة عن دلالات استخدام الجملة الفعليّة والجملة الاسميّة، والتقديم والتأخير... أما في المستوى الأسلوبي فقد كشفت عن أساليب خطابيّة ارتقت أعلى المستويات البلاغيّة أسلوباً ومعنىً ولفظاً.

Abstract

This study aims at investigating woman's discourse in *Surat Yusuf* in all language facets: phonological, morphological, structural, stylistic and connotative, as well. It has revealed that the Qor'anic verses which tacked woman's discourse contain various types of sound levels , in terms of sound repetition and its consistency with the situation it illustrates, and the clear sound parts in that situation. Morphologically, the study has shown the brilliant use of diverse morphological structures, along with linking these structures with the verse topic. Syntactically, the study has brought to light the implications of using verbal and nominal sentences, as well as the moving forward or delaying of some words. Stylistically, the study has disclosed some fine oratorical styles which are rhetorically unique and outstanding in terms of their pronunciation, meaning and manner.

مدخل:

سورة يوسف سورة مكيّة، وهي واحدة من السّور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الدّعوة الإسلاميّة في حياة الرسول ﷺ؛ نزلت بين عام الحزن وبيعة العقبة[١]. وبداية السورة يشير إلى ذلك فقال **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[٣: يوسف] ثمّ تناسب التّقديم مع التّعقيب في النّهاية ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾[١٠٢: يوسف].

أما سبب اختيار سورة يوسف؛ فلأنّها جاءت في أسلوب ممتع سائغ مُفعمٍ بمشاعر الرّحمة والحنان والعدالة السماويّة. ولهذا قيل: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها"[٢].

وأما لماذا خطاب المرأة؟ فلأنها تُشكّلُ رُكنًا أساسيًا في مجتمع يمرُّ بمعطيات ثقافيّة واجتماعيّة متغيرة، يمكن أن نلحظها داخل النّص القرآنيّ ؛ولأنّ في السورة صورة لخروج المرأة عن المألوف؛ بملاحقتها سيدنا يوسف عليه السلام ومراودتها له عن نفسه، فكشفت لنا عن جانب مهم من جوانب حياة المرأة الذي تهمله المجتمعات الإنسانيّة لمجرد أنّها امرأة يُفترضُ فيها الحياءُ، أما القرآن فقد تعامل معها كأنموذج بشريّ ، بكل غرائزها واندفاعاتها الأنثويّة، فعبّر عنها بألفاظ رائعة تحترم

* أستاذ مساعد، مركز اللغات، الجامعة الأردنية.

** أستاذ مساعد، مركز اللغات، الجامعة الأردنية.

كينونتها؛ وعكس صورة المرأة في الخطاب المستتير الذي يمثل حقيقة ديننا الإسلاميّ؛ فلا هو خطاب الإفراط المتزمّت، ولا هو خطاب التّفريط المتساهل، وإنّما هو خطاب الوسط لدين الوسطيّة.

أضف إلى ذلك أن سورة يوسف قد ذُكِرت جميع مشاهدها متتالية مُكتمِلة، ولم تُفصَّل أحداثها في مواضع متفرّقة من سور القرآن الكريم، لتَكون صورة من صور إعجاز القرآن في المجمل والمفصّل معًا.

لقد قرّ في نفسنا أنّ هذه السورة بمضمونها وعمق محتواها لابدّ أنّها تُسفِرُ عن خصوصيّة في بناء لغة خطابِها، فعكفنا على مطالعة ما قيل في هذه السورة في التفاسير والمصادر والمراجع ذات الصِلَة بموضوعها؛ فهاجِس البحث أنّ ثمّةَ قيمًا لغويّة تتداح بين ثنايا آياتها؛ سواء في مستوى الأصوات،أو مستوى الصّرف، أو مستوى التراكيب النحويّة،أو المستوى الدّلاليّ، أو المستوى الأسلوبي.

إنّ تحليل النصوص اللغويّة إلى مستوياتها: الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدّلاليّة والأسلوبيّة، وربطها بالمعطيات الاجتماعيّة، يكشِفُ أساليب اللغة الخطابيّة وطريقة بنائها، وهذا مسعى البحث وغايته، فالبحث على يقين له علائق وشيجة تربط بين أصوات المنظومة اللغويّة ومفرداتها وتراكيبها في الخطاب.فكان المنهج في الدّراسة تحليل مستويات الأداء اللغويّ، بادئًا من قاعدة الهرم وهو المستوى الصوتيّ،ثمّ المستوى الصّرفي للمفردة، ثمّ مستوى التركيب النحويّ، ثمّ المستوى الدلاليّ، فالمستوى الأسلوبيّ، غير غافلين عن هدي السياق[٣]؛ فنسير من خارج النّص إلى داخله، أي من السياق الاجتماعي للنّص إلى بنيته الدّاخليّة، ومن داخل النّص إلى خارجه، أي السّياق.لتتكشف لنا أسرار تشكُّل الخطاب على هذا النّحو أو ذاك؛ فالرّبط بين المتغيرات اللغويّة والمعطيات الاجتماعيّة ينبئ عن صورة لغة الخطاب القرآنيّ للمرأة في سورة يوسف.

مسائل المباحثة:

ظهر للباحثتين في المباحثات الأولى طائفة من المسائل التي يحاول البحث أن يجليها منها:

١. المستوى الصوتّي، والعلاقة بين الإيقاع ومحتوى الآي.
٢. لمستوى الصرفيّ، والعلاقة بين المفردة ودلالتها.
٣. المستوى النحويّ بما فيه من أساليب نحويّة استخدمت لتُلائِم الخطاب.
٤. المستوى الدلاليّ في ضوء السياق العام للخطاب.
٥. المستوى الأسلوبي.

وسنلحظ بُعيد ذلك مظاهر تكيّف المستويات اللغويّة المشكّلة للنّص الخطابيّ، ومدى الاتساق بين النّص والسّياق لتحقيق انسجام الرّسالة اللغويّة الخطابيّة. وقبل الولوج في بحث بُنية الخطاب الداخليّة وسياقاته الخارجيّةلا بدّ أن نعرّج على:

١. أسباب نزول السورة.
٢. معنى الخطاب.
٣. ما المقصود بخطاب المرأة؟
٤. مكانة المرأة في القرآن الكريم.
٥. من المرأة المقصودة في الخطاب؟
٦. المشاركون في الخطاب.

١. أسباب النزول:

من ضرورات تناول الخطاب في القرآن التّعرف إلى ما اكتنف الخطاب من شروط خارجيّة؛ لذا جاء البحث في أسباب النزول حاجة مُلِحَّة للعلاقة الوثيقة بين الخطاب وشروطه الخارجيّة.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [٣: يوسف].

نزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت، فأنزل الله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[+ ٣: يوسف] فتلاه عليهم زمانًا،

فقالوا: يا رسول الله لو حدّثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[٢٣: الزمر] قال: كل ذلك ليؤمنوا بالقرآن.

وقيل:ملّ أصحاب رسول الله ملّة فقالوا: يا رسول الله حدِّثنا، فأنزل الله تعالى:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾، قال: ثم إنهم ملوا ملة أخرى فقالوا: يا رسول الله فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله تعالى:﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فأرادوا الحديث فدلّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص.(٤)

٢ مكانة المرأة في القرآن:

اهتم القرآن الكريم بالمرأة اهتمامًا كبيرًا؛ فذكرها في كثير من السّور مثل: (المجادلة والنمل والطلاق...)؛ فتحدّث عنها قصدًا أو عَرَضًا، تصريحًا أو إيماءً، وركز على مكانتها الإنسانيّة، وعبّر عن كل شأن من شؤون حياتها، وسوّى بها وبين الرّجل في الحقوق والواجبات، وفي الثّواب والعقاب والتّكليف.

فالنّص القرآني خاطبهما على حدٍّ سواء،وخصّ المرأة بخطاب خاصٍ بها، يتناسب وتكوينها البيولوجي، وشخصيتها الأنثويّة وما لها وما عليها في إطار هذه الخصوصيّة، وهذا نهاية العدل والإنصاف.

٣ ما معنى الخطاب؟

جاء في لسان العرب تحت مادة(خَطْبٌ)أنّ الخطاب معناه مراجعة الكلام(٥) وقال الزمخشري: إن الخطاب "هو المواجهة بالكلام"(٦). وقال محمد علي الخولي: "الخطاب إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام"(٧). وجاء في المعجم العربي الأساسي: الخطاب: "كلام يوجه إلى الجماهير في مناسبة من المناسبات"(٨). وقال الكفوي: "الخطاب:الكلام اللفظي أو النفسي الموجّه للفهم والإفهام"(٩) وقالت خلود العموش: الخطاب "عملية اتّصال تتمّ في إطارين: الإطار اللّغوي؛ فقد يكون في متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة، ينتجها مرسل واحد، أو عدّة متخاطبين كما يحدث في الحوار أو غيره. وإطار غير لغوي يشمل العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق. والخطاب بوصفه حدثًا كلاميًا يتألف من عدة عناصر هي: المرسل، والمستقبل أو الجمهور،والرّسالة أو الموضوع، والهدف، ويؤثر هنا الهدف تأثيرًا جليًا في استراتيجيّة المرسل، فيملي عليه اختيارات معيّنة من بين الأبدال التي يتيحها له النّظام اللّغوي، وقد يؤثر في صورة الحديث وطريقة بنائه، وهو يُفسِّر الكثير من المتغيّرات الأسلوبيّة التي ترافق عملية التعبير اللّغوي"(١٠).وما عنيناه هنا في دراسة الخطاب؛ دراسته من الجانبين اللّغويّ وغير اللّغويّ المتمثل في السياق الخارجي.

٤ ما المقصود بخطاب المرأة؟

إنّ ما قصدناه بـ (خطاب المرأة) هو الخطاب الذي صدر إليها أو ما خوطبت به، وما صدر منها أو ما خاطبت به، للتّعبير عما يدور في خلجات نفسها من أفكارٍ ومعانٍ .

٥ من المرأة المقصودة بالخطاب؟

تأخذ اللسانيات الاجتماعيّة بعين الاعتبار حالة المتكلم كمعطى اجتماعي من حيث: أصله السلالي، ووضعه الاجتماعي، ومستواه المعيشي والثقافي، وربط هذه الحالة بنوع اللّغة التي يستعملها(١١)؛ لذلك كان لابُدّ من التّعريف بشخصية المتكلم ومن يحيطون بها.

قال تعالى﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[٣٠: يوسف]، تُشير الآية الكريمة إلى أنّ المرأة المقصودة في الخطاب هي امرأة العزيز، والعزيز هو قطفير الوزير الأول لملك مصر، وهي بنت أخت الملك الرّيان. وقيل إن اسمها: زُليخة، وقيل: راعيل، وقيل: راحيل.(١٢) وقد كانت راعيل أو زُليخة بطلة قصة سيدنا يوسف عليه السلام حيث لعبت دورًا حيويًا في القصة. وقد كانت في الثلاثين من عمرها حين ضُمَّ سيدنا يوسف إلى قصرها، وكانت في سن الأربعين عندما أصبح سيدنا يوسف في الخامسة والعشرين من عمره(١٣)؛ فهي امرأة ناضجة مكتملة

الشخصيّة، وهي امرأة شابّة، فاتنة الجمال.

شكّلت شخصية امرأة العزيز حافزاً قويًا للباحثين والدّارسين، من مفسرين ولغويين وعلماء نفس لدراستها؛ إذ مثّلت نمطًا اجتماعيًا مختلفًا في النظرة إلى الأنثى وطبيعة تكوينها، فقدّمت صورة غير مألوفة في المجتمعات؛ ورسم القرآن صورًا مدهشة لاستعدادات المرأة وقدراتها وغرائزها وميولها ودهائها التي تتجاهلها المجتمعات الإنسانيّة، والقرآن عندما رسمها تعامل معها كإنسان له مشاعر وأحاسيس، تصيب أحيانًا وتخطئ أخرى.

والمشاهد التي عرضها القرآن في خروج امرأة العزيز على العُرف، تبدأ بمحاولتها إغراء سيدنا يوسف وإغوائه، باستثمار كل ما لديها من إمكانيات على المستويين: الشخصي والاجتماعي، والتفنُّن في استخدام ألوان الإغراء والفتنة التي تمتلكها المرأة؛ حيث التّزين بالاباس والعطور وتصفيف الشعر، وقد أسهمت البيئة الاجتماعيّة لها في صدور مثل هذه التّصرفات عنها؛ فالغنى والبذخ والجواري والخدم... كلها مُعطيات كافية لمثل هذه الأفعال؛ "وكلما ازداد حجم مركز الإنسان في المجتمع، ازداد حجم الجرم في بيته فيما لو تهيأت الظروف الملائمة لاخلاق هذه الجرائم"(١٤).

وينتقل القرآن بنا في مشهد آخر وهو المراودة؛ إذ تنتقل امرأة العزيز من مرحلة الإغراء والإغواء إلى مرحلة المراودة الفعليّة حيث وصلت إلى اللحظة الحرجة في رغبتها الجسديّة مجسدّة إياها بقولها: **هَيْتَ لَكَ**".

والمشهد الأول الذي نقلنا القرآن إليه قد يبدو مألوفًا؛ فالمرأة من خصالها التّزين والاعتناء بشؤون أنوثتها والحظوة بإعجاب الرّجال بها. أما المشهد الثاني فيكاد يكون مشهداً غريبًا غير مألوف في المجتمعات الإنسانيّة؛ فالعُرف أن الرجل هو الطالب، والمرأة هي المطلوبة.

ونخلص من هذاالمراودة إلى أنّ المرأة تُشارك الرجل في أدق خصائصه فهي "كائن طبيعي، وليست بالكائن الأخلاقي على ذلك المعنى الذي يمتاز به خلق الإنسان، ولا يشترك فيه مع سائر الأحياء"(١٥).

وبعد هذا ينقلنا القرآن في مشهد ثالث تمثّل في دهاء زُليخة وكيدها عندما كُشِف أمرها، فاتّهمت الفتى الأمين وتسببت في سجنه؛ لاستعصامه منها.

وقد كان لنسوة المدينة دور في دفع المشاهد إلى الأمام؛ فَلَغطهُنّ بقصة امرأة العزيز مع فتاها (يوسف) كعادة النسوة في كل مكان وزمان استفزّ، ما في شخصيتها من مكرٍ ودهاء، فكادت لهنّ كيداً انتصرت فيه لنفسها؛ فأعدّت لهنّ مأدبة طعام في جوٍ مفعم بالهدوء، ثمّ طلبت من فتاها (يوسف)أن يخرج إليهنّ، وكان بيد كل واحدة منهن سكينًا لتقطيع الفاكهة،وعند رؤية يوسف قطّعنّ أصابع أيديهن من سحر جماله، وذهلن منه معلنات أنّه "حاشا لله أن يكون هذا بشراً.

٦ المشاركون في الخطاب:

- **سيدنا يوسف** عليه السلام بطل القصة في السورة التي سُميّت باسمه، وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم –عليهم السّلام ،كان يحظى بمكانة عُليا عند أبيه، فكاد له إخوته ودبّروا التّخلص منه، ليخلو لهم حب أبيهم، وبدأت الجريمة بإقناع أبيهم بالسماح ليوسف بأن يذهب معهم للّعب فألقوه في غيابة الجُبِّ ،مدّعين أنّ الذئب قد أكله، فكانت الحلقة الأولى من سلسلة المعاناة والغربة والمحنة في حياة هذا الفتى، لتنتقل إلى حلقة أخرى من هذه السلسلة بعد أن التقطه السيّارة وباعوه بثمن بخس إلى عزيز مصر. فآتاه الله بعد ذلك العلم والحكمة.

- **عزيز مصر**: هو قطفير أو أطفير بن روخيب وزير الملك وصاحب خزائنه ووالٍ لأموره وشؤونه، وكان قطفير عقيمًا لا يولد له ولد، فعطف على يوسف وجعله في بيته معززاً مكرّمًا.(١٦)

- **ملك مصر**:هو الرّيان – بن الوليد من العماليق (الهكسوس) وليس من الفراعنة، وكان يحكم مصر العماليق في عهد الأسرة الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة(١٧)، وقد رأى رؤيا وأراد من يفسرها له، وَذُكِر له

سيدنا يوسف الذي ذاعت شهرته في تفسير الأحلام، فطلبه ليكون وزيره، فأبى أن يخرج من السجن قبل إعلان براءته، والسؤال عن قصته مع النسوة، فتحقق له ما أراد، وكانت له منزلة عند الملك، فأمّنه على كل شيء.

- **نسوة المدينة** ويقال كُنّ خمسًا: امرأة الساقي، امرأة الخباز، وامرأة صاحب الدّواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب، وهنّ من الطبقة العُليا في مصر الجاهليّة[18]؛ وكُنّ يغتبن امرأة العزيز في حبها ليوسف.

تحليل الخطاب:

يبدأ الخطاب بين امرأة العزيز ومن حولها بالخطاب الذي صدر إليها من زوجها عند مَقْدَم الغلام (يوسف) إلى القصر، بعد شرائه من قوافل التجارة. **وقَالَ الَّذي اشتراهُ من مصرَ لامرأتِه أكرمي مَثْواهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَدا**[21: يوسف] وينتهي باعتراف امرأة العزيز بذنبها والإشارة إلى أن النفس أمارة بالسوء **وما أُبَرِّئُ نَفْسي إنّ النّفس لأمّارَةٌ بالسّوءِ إلاّ رَحِمَ رَبّي إنّ رَبّي غَفُورٌ رَحيمٌ**[53: يوسف] ولنبدأ بـ:

المستوى الصوتي:

انطوت لغة خطاب المرأة في سورة يوسف على منظومة صوتيّة رائعة، كان لدلالتها دور في إذكاء حرارة الكلمة وتوهج عبارتها، ومن ذلك:

أ. **الإيقاع في مستوى الأصوات**[19]:

وردت الأصوات في الآيات المقصودة بالدراسة من سورة يوسف عليه السلام (الآيات من ٢١ – ٣٢، ومن ٥١ – ٥٣) حسب الجدول التالي:

أولًا: الأصوات المجهورة:		ثانيًا: الأصوات المهموسة:	
الصوت	عدد مرات تواتره	الصوت	عدد مرات تواتره
الباء	٣٧	التاء	٤٢
الجيم	٥	الثاء	٤
الدال	٣٤	الحاء	١٥
الذال	١٧	الخاء	٧
الراء	٤٤	السين	٢٩
الزاي	٦	الشين	٨
الضاد	٣	الطاء	٣
الظاد	٢	الفاء	٣٣
العين	٣٠	القاف	٣٢
الغين	٨	الكاف	٣٦
اللام	١١٧	الهاء	٦٨
الميم	٧١	الصاد	١٤
النون	١١٢	المجموع	٢٩١
الواو	٦٤		
الياء	٧٢		
المجموع	٦٢٢		

ثالثًا: الأصوات الانفجارية:		رابعًا: الأصوات الاحتكاكية:	
الصوت	عدد مرات تواتره	الصوت	عدد مرات تواتره
الباء	٣٧	السين	٢٩
التاء	٤٢	الزاي	٦
الدال	٣٤	الصاد	١٤
الطاء	٣	الشين	٨
الضاد	٣	الذال	١٧
الكاف	٣٦	الثاء	٤
القاف	٣٢	الظاد	٢
المجموع:	١٨٧	الفاء	٣٣
		الهاء	٦٨
		الحاء	١٥
		الخاء	٧
		الغين	٨
		المجموع	٢١١

عند النّظر في الجداول السابقة، يمكن أن نستنتج منها ما يأتي:

١) طغت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة طغيانًا بارزًا وقد بلغ عدتها (٦٢٢)، في حين أن الأصوات المهموسة بلغ عدتها (٢٩١) صوتًا، ولعل هذا يعود إلى طبيعة الموقف الذي عاشه سيدنا يوسف، ولقد كان صوت اللام أظهر الأصوات المجهورة حيث بلغ عدته (١١٧) صوتًا، ثم يليه صوت النون حيث بلغ عدته (١١٢) صوتًا، ثم جاء صوت الياء حيث بلغ عدته (٧٢) صوتًا، ثم يليه صوت الميم حيث بلغ عدته (٧١) صوتًا؛ وذلك "لخفة هذه الأصوات وموسيقاها؛ وهذه أكثر الأصوات الساكنة وضوحًا، وأقربها إلى طبيعة الأصوات اللينة، ولذا يميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات اللين[٢٠]" إضافة إلى أن هذه الأصوات "أوضح في السمع وأن تواليها وتداخلها يحدث توافقًا موسيقيًا، والأصوات المصاحبة لهذه الحروف تشد القارئ ليتأنى ويتأمل قراءة الآية حتى يسهل عليه تدبّر الآيات وتصوير المعاني[٢١]".

٢) تقارب عدد الأصوات الاحتكاكية (٢١١) من عدد الأصوات الانفجارية (١٨٧)، مما يشكل تناسقًا موسيقيًا بين الحروف. وقد كان حرف (الهاء) من أكثر الحروف الاحتكاكية ترددًا حيث بلغ عدتها (٦٨) مرة، ولعل هذا يعود إلى أن التّلفظ بحرف الهاء لا يتطلب كمية كبيرة من الهواء الخارج عند النطق به؛ "فالهاء صوت رخو مهموس، عند النطق به يظل المزمار منبسطًا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعًا من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار[٢٢]" وهذه السهولة في نطق هذا الحرف ينسجم مع جو الآيات وموقف يوسف عليه السلام في محنته مع امرأة العزيز والنسوة وتمتعه بكل درجات ضبط النفس والعفة والطهارة.

٢ **المقاطع الصوتيّة:**

"المقطع في أبسط صوره، تتابع فونيمي في لغة ما، وقد برز اتجاهان في تعريفه والوقوف على حدوده،

اتجاه صوتي وآخر وظيفي. يعرف الاتجاه الصوتي المقطع بأنه: تتابع من الأصوات في تيار الكلام، له حد أعلى أو قمة اسماع تقع بين حدين أدنيين من الاسماع. أما الاتجاه الوظيفي فيعرف المقطع بأنه: وحدة ذات صفات وخصائص متميزة في كل لغة[٢٣]"، وتتاخص المقاطع الصوتيّة في الكلام العربي –كما يذكر عبد الصبور شاهين على النحو الآتي:

١ مقطع قصير، ويتكون من: صامت + حركة قصيرة، مثل: الكاف وحركتها في كتب ka.

٢ مقطع طويل مفتوح، ويتكون من: صامت + حركة طويلة، مثل: الكاف والألف في كاتب kaa.

٣ مقطع طويل مقفل، ويتكون من: صامت + حركة قصيرة + صامت، مثل: الأداة كم kam.

٤ مقطع مديد مقفل بصامت، ويتكون من: صامت + حركة طويلة + صامت، مثل: النطق بالفعل كان kaan.

٥ مقطع مديد مقفل بصامتين، ويتكو ن من: صامت + حركة قصيرة + صامتين، مثل: النطق بكلمة قدر qadr.

وهذه قائمة تبين عدد المقاطع الصوتيّة في كل آية من آيات سورة يوسف المقصودة في هذه الدراسة، وهي الآيـــات: (٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٥١، ٥٢، ٥٣)[٢٤].

رقم الآية	المقطع القصير المفتوح	المقطع الطويل المقفل	المقطع الطويل المفتوح	مقطع مديد مقفل بصامت	المجموع
٢١	٣٩	٢٣	٢٤	١	٨٧
٢٢	١٣	٨	٧	١	٢٩
٢٣	٢٤	١٥	١٦	١	٥٦
٢٤	٢١	١٥	١١	١	٤٨
٢٥	٢٥	١٥	١٥	١	٧١
٢٦	٢٣	١٢	٩	١	٤٥
٢٧	١٥	١٦	٤	١	٣٦
٢٨	١٦	٧	٧	١	٣١
٢٩	٢٢	١٢	١١	١	٤٦
٣٠	٢١	١٢	١٢	١	٤٦
٣١	٤٣	٣٠	٢٠	١	٤٦
٣٢	٢٦	١٧	١١	١	٥٥
٥١	٣١	٢٢	١٤	١	٦٨
٥٢	١٠	٨	٨	١	٢٧
٥٣	١٤	١٢	٩	١	٣٦
المجموع	٣٤٣	٢٢٤	١٧٨	١٥	

نلحظ في الجدول السابق غلبة المقاطع الثقيلة على المقاطع الأخرى ولعلّ ذلك يعود إلى ما جاءت به الآيات من أنواع البلاء التي لقيها يوسف عليه السلام في بيت العزيز وفي السجن، وفي تآمر النسوة عليه، حتى نجاه الله من الضيق. ولنضرب مثالاً من الآيات الكريمة التي ظهر فيها غلبة المقاطع القصيرة على المقاطع الطويلة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا

في ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣٠: يوسف].

والكتابة الصوتيّة للآية السابقة كما يلي:وَ / قا / لَ ◌ِ نِاس ْ /وَ / اُتِنْ /اِمْ / رِي / ن /اِتِمْ /رَ / أ / تُلْ / عَ / ز /يِز /اِتُ / را /وِ / دُ /فَ / تا /ها /عَنْ /نَفْ / هِ / قَدْ /شَ / عَ /فَ / ها /حُبْ /بَهْ / إن / نا /لَ /نَ / را / ها / في / ض / لا /لِنْ / مُ /بِينْ .

فالآية السابقة تتكون من (٢١)مقطعًا قصيرًا، و(١٢) مقطعًا طويلاً مقفلاً، و(١٢) مقطعًا طويلاً مفتوحًا،ومقطع واحد مديد.

ويلحظ أن أكثر المقاطع الصوتية من حيث العدد في قوله وتعالى: ﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [٢١: يوسف].

بلغ عدد مقاطع الآية (٨٧) ولعل طول المقاطع الصوتيّة في الآية دليل على طول المدة التي أمضاها يوسف في مصر حتى لتكاد الآية تلخص حياة يوسف منذ مجيئه إلى بيت العزيز حتى نهاية حياته؛ بدءًا من إنجاء الله له من مكيدة إخوته حتى تمكينه في أرض مصر وجعله ملكًا يتصرف فيها بأمر الله ونهيه، فقد أراد به إخوته ما أرادوا، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره؛ فالأمر كله بيد الله.

٣ الإيقاع الكلي في الفواصل ورؤوس الآي:

الانسجام الصوتيّ، والوقع الموسيقيّ في ترتيب الفواصل القرآنيّة مراد في حدّ ذاته ايقاعيًا، وقد اعتمدت سورة يوسف على فاصلة قرآنيّة مزيج من أصوات النون والميم واللام والراء. وهذا هو السبب في استساغة الآذان لفواصل السورة " فمجاورة حرف من هذه الحروف لأي حرف آخر من حروف الهجاء تستسيغه الآذان ولا يتعسر فيها النطق"[٢٥]

وجاء صوتا النون والميم أكثر تكرارًا في نهايات الفواصل. ويعد صوتا النون والميم من الأصوات الواضحة التي أسهمت في توضيح دلالات السورة؛ فشكلّت طاقة صوتيّة تعبيريّة، ولا سيما أنّهما سبقا بالصوتين الصائتين الطويلين وهما الياء والواو، فكشفت سرًا من أسرار الإعجاز في تبين المقاصد الدّلالية؛ "فالحكمة وجود التمكّن من التّطريب"[٢٦] والخطاب القرآني اللافت، والفواصل المتساوية في الوزن، المتحدة في حرف التقفيّة تمامًا، ذات وقع متحد تبعًا للوزن والقافية، ولأمر ثالث لا يظهر ظهورهما، وإنما ينبعث من تآلف الحروف، وتآخيها في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، فكأنما احتمت الكلمة بالكلمة، لا تبغي عنها انفكاكًا، أو كأنما الجمل كلمة واحدة تآلفًا واتحاد كلمات[٢٧].

المستوى الصرفي:

ونعني به معالجة المفردات بأعيانها، دون الدخول في نسق نصي.

وعند فحص المفردات اللّغويّة التي استخدمها النّص نجدها على النّحو الآتي:

قال وتعالى: ﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾[٢١: يوسف].

(أكرمي، عسى، ينفعنا، نتخذه) ألفاظ، كل منها يفضي إلى الآخر، وحدوثه مترتب على ما قبله؛ فالمنفعة أو اتخاذه ولدًا متعلق بإكرامه. والفعل "أكرمي" فعل أمر قُصِدَ به زوجة العزيز وحدها، فهي وحدها من ستتكفل بالعناية به، أما في الفعلين (ينفعنا، نتخذه) نجد العزيز خصّ نفسه مع امرأته بالمنفعة، والاتخاذ الذي قد يجنيه من هذه العناية، وهذه الأفعال بمعانيها توحي بمعتقدات سائدة في المجتمعات، وهي أن العناية بالأبناء وتربيتهم مسؤولية المرأة وحدها، وأن دور الرجل يُقتصر على توفير المتطلبات الأساسيّة للأبناء: من مأكل وملبس... أما في المنفعة فهم سواسية.

أما الفعل "عسى" فجاء بهذه الصيغة، لأن النفع في نظر العزيز لم يكن أمرًا واقعًا وإنّما كان مرجوًا للمستقبل.

ويستمر الخطاب بين الأطراف وفق تطور الأحداث

قال تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢: يوسف].

فالآية تُشير إلى التهيئة والإعداد النفسي والجسدي لمواجهة ما سيمر به من مواقف وأحداث وقد قيل في الأشد: ثماني عشرة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون، وفيها آتاه الله الحكمة والعلم والجمال جزاء على إحسانه وكان فتنة لإمرأة العزيز ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٣: يوسف].

"رَاوَدَتْهُ" فعل ماضٍ، والمراودة: على وزن مُفاعلة، من راد يرود إذا جاء وذهب، وكأنّ المعنى خادعته عن نفسه[٢٨]. ويشير الفعل "راود" إلى أن هناك عدة محاولات سابقة للإيقاع بيوسف عليه السلام، والدّليل على ذلك ما تبع هذا الفعل من تغليق الأبواب "وغلّقت الأبواب"؛ لفظة "غلّقتْ" صيغة مبالغة، والتغليق لا يكون إلا بعد أن وصلت رغبتها في يوسف ذروتها، والفعل يوحي بأنّها أغلقت أبوابًا كثيرة غير رئيسة، ولكن هناك بابًا رئيسيًا للدّخول والخروج، بدليل قوله لاحقًا "واستبقا الباب"، والمقصود الباب الرئيسي، أو كأنه "غلّق مرةً بعد مرة، أو بمغلاق بعد مغلاق"[٢٩]. والتعبير يشي بأن التكثير في الإغلاق ردة فعل طبيعية للتّكثير في المراودة، بسبب فشل المحاولات، وكأن التّغليق جاء للحيلولة بين الأسباب التي تمنع يوسف من مشاركتها فيما تريد، فأرادت تهيئة جو آمن للقاء.

ونلاحظ أن هناك تدرجًا في الأفعال؛ حيث بدأت بالمراودة، ثمّ الإغلاق حتى وصلت إلى مرحلة الاستسلام ففالت: "هيتَ لَكَ".

و"هيت لك" تعني تهيأت، واللام في "لك" من صلة الفعل كأن تقول: هلم لك[٣٠]. وذهب السُدّي إلى أنها قبطيّة وتعنى هلم لك[٣١]. وقد يكون هذا المعنى أكثر قبولاً لأنّه مستمدّ من البيئة المصريّة القديمة التي دارت بها الأحداث والقرآن يُؤثر في بعض قصصه ذكر كلمة أو اقتباس من لغة البيئة نفسها، ليصور للقارئ البيئة والمجتمع واللغة، وحتى كثيراً من العادات والأخلاق والتقاليد، والكلمة الأجنبيّة كثيراً ما تجري على لسان شخصيّة من شخصيات القصة".[٣٢] واستخدام هذا التعبير العالي الفصاحة يدل على بلاغة امرأة العزيز وقوة بيانها.

"قال معاذَ الله" أي: أعوذ بالله معاذا إنّه "ربيّ" وقد اختار يوسف لفظًا مشتقًا من التربية، ولم يجعل العزيز سيده في كلامه لأنه رعاه ورباه[٣٣].

كانت نهاية الموقف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٢٤: يوسف].

"هَمّتْ": همَّ بالأمر إذا قصده وعزم عليه. وقد عبّر الله عن حالة من حالات ضعف النفس البشريّة في غرائزها في صورة واقعيّة دون الإساءة إلى أيّ منهما.

وعندما أراد التخلّص منها هرب إلى الباب. قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٥: يوسف].

"استبقا":تسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل إلى المفعول، وهو فعل يشير إلى اشتراكهما في الاستباق إلى الباب.

"الباب": اسم مفرد أراد به الباب البرّاني الذي هو المخرج من الدّار[٣٤]. وظنّ أنّه الباب الرئيسي للمكان الذي التقيا به، وأن لهذا المكان أبوابًا أخرى لكنّها ليست رئيسية. وأل التعريف الداخلة على كلمة الباب هي للجنس إذ كانت عدة أبواب مغلقة.

"قدّت" القدّ هو القطع المُستأصِل والشق طولاً[٣٥]. واللفظة توحي بقوة القطع الناجم عن قوة الرغبة في تحقيق مرادها، وهو تعبير بليغ.

"ألفيا سيدها" صادفا زوجها، فالمرأة تقول لزوجها: سيدي ولم يأت التعبير (سيدهما) لأن ملك يوسف لم يصح، فلم يكن سيدًا له على الحقيقة، ثمّ أن لفظة (سيدي)

كانت تقولها المرأة لبعلها.[٣٦]

"لدا" ظرف مكان: يفيد معنى القرب، أي قرب يوسف عليه السلام من الباب.

"الباب" مُعّرف: مما يدل على أنّه الباب الرئيسي للحجرة المفضية للخارج، لذا عاد سيدها من خلاله[٣٧].

"ما"نافية، أي ليس جزاؤه إلا السجن، أو تكون استفهاميّة، بمعنى أي شيء جزاؤه إلا السجن، وقد تكون هذه أرجح فكان سؤالها قبل سؤال العزيز وقبل حديث يوسف.

"من أرادَ" تعبير يدل على العموم، وهو أبلغ، قصدت منه تخويف يوسف.

"بأهلك" عبّرت عن نفسها بالجمع، لتشير لمكانتها ومكانة العزيز؛ فهي على سبيل التعظيم.

"سوءًا" لم تختر زوجة العزيز لفظة أخرى للتّعبير عمّا حدث، كلفظة (الزنا) مثلاً "لأنّها أرادت أن تبعد تفكير زوجها عن هذه المعصية الكبرى"[٣٨].

وقد يشي هذا الاستخدام في الخطاب إلى دلالات نفسيّة منها[٣٩].

١ إنّها لما رأت من عفة يوسف وطهارته، استحيت أن تقول: أن يوسف قد قصدها بسوء، وما وجدت في نفسها المقدرة على رميه بالكذب الصّريح، بل اكتفت بالتّعريض.

٢ إن هذا التّعريض فيه من الأدب والتّهذيب.

وربما هذا من سمات المجتمعات الرّاقيّة التي لا تستخدم الألفاظ الساقطة؛ فامرأة العزيز امرأة مثقفة، ذات مكانة عالية، والدّليل على ذلك أسلوب خطاب زوجها لها عندما أحضر يوسف وقال لها: أكرمي مثواه، وما وصل إليه يوسف من مكانة في العلم والمعرفة.

وقد ردّ يوسف على اتهام امرأة العزيز له. قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٢٣-٢٤] يوسف].

"وَرَاوَدَتْهُ": فعل أمر يحمل معنى الإلحاح والإصرار، وهو أسلوب يدل على قوة الشخصية، وعدم الاستسلام لرغبات الآخرين، وهذا ليس غريبًا على يوسف الذي تربى في بيت النبوة، فهو خلق الأنبياء.

"هَيْتَ لَكَ": فعل أمر يحمل معنى الإغراء والتّحريض، وهذا ليس غريبًا على امرأة العزيز، فهي تريد أن تقول ليوسف: أنا لك، وهذا ليس غريبًا على امرأة تريد أن تتخلص من عشيقها.

"مَعَاذَ اللَّهِ": فعل أمر يحمل معنى الاستعاذة بالله من الفاحشة، وهذا ليس غريبًا على يوسف الذي تربى في بيت النبوة، فهو خلق الأنبياء.

"إن" للاستقبال، و"كان" للماضي، وجاء الجمع بينهما؛ لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قدّ، كقولك: إن أحسنت إليّ قد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك بإحسانه، أي إن تمتن عليّ أمتنّ عليك.

"قبل، دبر" فالتنكير هنا معناه من جهة يقال لها قبل، ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي إسحاق أنّه قرأ: من "قبل" ومن "دبر" بالفتح، كأنّه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلميّة والتأنيث[٤٠].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢٨: يوسف].

إنّه لمّا علِمَ صدق يوسف وكذبها قال: إن كيدكنّ عظيم".

"كَيْدَكُنَّ" الخطاب هنا لامرأته وكل النساء وفيه استعظام للكيد. "وهذا التعبير من العزيز يمثل اللباقة الأرستقراطيّة في مواجهة الحدث الذي يثير الدّم في العروق، كما يميل إلى التّلطّف في مجابهة السيدة الخاطئة بنسبة الأمر إلى الجنس كله"[٤١].

وربما جاء التعبير على هذا النّحو لشعور العزيز بالتّقصير تجاه زوجته؛ فهو رجل كبير في السن وعقيم، وزُليخة امرأة حسناء جميلة غلبتها نفسها، لذلك لم يجرؤ أن يوجه لها الكلام مباشرة؛ فهو في موقف ضعف.

ثم انتقل بالحديث إلى يوسف. قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[٢٩: يوسف].

"يُوسُفُ": مخاطبة يوسف باسمه من قبل العزيز "تقريبًا له وتلطيفًا"[٤٢].

"أعرض": فعل أمر يعني تولّ عن الشيء[٤٣]. أي لا تذكره.

"هذا": أي الموضوع الذي حدث.

"استغفري": فعل أمر يحمل معنى إدراك العزيز للحقيقة، وهو أسلوب راقٍ في التعامل مع المرأة، مع أنّها قامت بعملٍ مشين.

"**الخاطئين**": لفظ تذكير تغليبيًا للذكور على الإناث، وقد قيل إن العزيز كان حليمًا وقليل الغيرة، لذلك جاءت ردة الفعل طبيعيّة[٤٤]. ومع ذلك نلمح جانبًا من ظلم العزيز ليوسف؛ إذ اهتم بمشاعر امرأته، ولكنّه لم يهتم لموقف يوسف وسمعته، ولم يحاول أن ينتصر له، وهذا هو موقف أصحاب السلطة والقوة من الضعفاء.

ونتيجة طبيعيّة أن ينتشر هذا الخبر في المدينة. قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٠: يوسف].

"وقال نسوة": النسوة اسم مفرد لجمع المرأة، وتأنيثه غير حقيقي ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث[٤٥].

"وتأنيث المذكر وتذكير المؤنث في الجمع من سنن العرب"[٤٦]. والنسوة هنا جمع قِلة، ونكرة غير معرّف. وقيل النسوة امرأة الساقي، وامرأة صاحب الدّواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب. وربما جاء استخدام صيغة جمع القلة عوضًا عن جمع الكثرة (نساء) ليصرف الخطاب إلى مضمون الخطاب وخطورته وليس النسوة.

"**امرأة العزيز**": التصريح بإضافتها إلى العزيز مبالغة في التّشنيع؛ لأن النفوس أميل لسماع أخبار ذوي الجاه.

"**تراود**": الصيغة صيغة الفعل المضارع، وهو يشير إلى استمرار فعل المراودة وتجدده من قبل امرأة العزيز. وهذا ما تنكره النسوة عليها.

"**فتاها**": الفتى هو الطّري من الشبان واللفظ هنا يشير إلى الخادم والمملوك[٤٧]. وهنا إشارة إلى فارق السّن بينهما وأنه خادمها فكيف تشتهيه.

"**شغفها**": خرق حبه شغاف قلبها وغلافه حتى وصل إلى الفؤاد، والشغاف حب القلب، وقيل جلدة رقيقة يُقال لها لسان القلب[٤٨]. واللفظ يوحي بدرجة الحب التي وصلت إليها امرأة العزيز، حتى إنّها دعته إلى نفسها، خارجة عن المألوف؛ فالمرأة لا تطلب الرجل لمجرد الإعجاب به. ولجوؤها إلى تهديد فتاها ووعيده ينبئ عن ذلك.

"**في ضلال مبين**": أي في خطأ وبعد عن طريق الصواب.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [٣١: يوسف].

"**مكرهنّ**": المقصود بالمكر الاغتياب وسوء المقالة[٤٩]. واستخدام هذا التعبير يشير إلى خبرة امرأة العزيز بالنساء، إذ فهمت إن هذه الغيبة فعل ماكر.

"**واعتدت**": تشير إلى معنى الإعداد والتهيئة، لكنّ العدول عن صيغة أعدّت بمعنى حضّرت إلى صيغة اعتَدّت، يجعل الذهن ينصرف إلى معنيين لهذا الوزن[٥٠]:

١. إمّا إلى معنى المبالغة في معنى الفعل، مثل اقتدر وارتدّ، أي بالغت في إعداد المتكآت ومستلزمات الضيافة.
٢. وإمّا الطلب، مثل اكتسب واكتتب، أي طلبت إلى من في القصر إعداد اللازم للجلسة؛ لأنّها مخدومة، ولا تباشر هذه الأمور بنفسها. والمعنى أنها جهزت ورتبت لهن المتكأ قبل قدومهنّ.

"**متكأ**": ما يتكئن عليه من نمارق. وقيل: متكأ: مجلس طعام لأنّهم كانوا يتّكئون للطعام والشراب والحديث، وهذا من عادة المترفين، وقيل "متّكأ" طعامًا. ومن رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن ابن الزبير عن جابر قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يأكل أحدنا بشماله وبأن يأكل متّكئًا"[٥١]. والمتّكأ هو مكان الجلوس وما فيه من فراش مريح يمنح الجالس عليه الاسترخاء، فيكون بلوغ الأذى لهنّ أكبر وأقوى؛ "فالقصد من تهيئة هذا المجلس قعودهن متّكئات،والسكاكين في أيديهنّ: أن يدهشن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهنّ على أيديهنّ فيقطعنها"[٥٢]. والمتكأ هنا إشارة إلى حياة البذخ والتّرف التي تعيشها زوج العزيز. والراجح أن المتكأ هو مكان الجلوس وما فيه من اتكاء.

"**اخرج**": فعل أمر يشير إلى أن يوسف كان محجوزًا في مكان ما. واختيار وقت الدخول على النسوة يدل على

حنكة ودهاء امرأة العزيز.

"أكبرنه": أعظمنه. والإكبار هو الإعظام، وأكبرت الشيء: أي استعظمته[٥٣].

"قطّعن"صيغة مبالغة بمعنى جرّحن أيديهنّ، وهذا إشارة إلى انبهار النسوة بجمال يوسف الفائق وحسنه الرائع، فقد قيل: فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء، وعن النبي ﷺ مررت بيوسف الليلة التي عُرج بي إلى السماء، فقلت لجبريل: من هذا؟ فقال: يوسف، فقيل يا رسول الله: كيف رأيته؟ قال: كالقمر ليلة البدر[٥٤].

"حاشا": حرف من حروف الجرّ، وضعت، موضع التنزيه والبراءة، وقد تكون فعلاً ماضياً بمعنى: جانب يوسف المعصية لأجل الله، فهي تنزيهيّة ليوسف، واللفظ جاء تعبيراً عن استحالة استجابة هذه الهيئة الملائكيّة لإغواء امرأة العزيز،والدليل على ذلك قولهنّ: ﴿مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وهذا الاستخدام شائع في حياتنا؛ فإذا ما رأينا شخصاً جميلاً فيه ملامح البراءة قلنا عنه: "وجهه ملائكي" لما نرسمه للملائكة من صورة جميلة في مخيلتنا، وهي تستخدم في موضع الدهشة لبخلق الله.

وبعد هذه الشهادة من النسوة ما كان من امرأة العزيز إلا أن توجّه اللوم لهؤلاء النسوة قائلةً: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[٣٢: يوسف].

"فَذَلِكُنَّ": اسم إشارة يدل على البعيد، مع أن يوسف كان قريباً منهنّ، وهذا الاستخدام جاء رفعًا لمنزلته في الحسن، واستحقاق أن يُحب ويُفتَن به، وربما يكون إشارة إلى معنى قولهّن: عشقت عبدها الكنعاني. تقول: هو ذلك العبد الكنعاني الذي صوّرتّن في أنفسكن ثم امتنني فيه.[٥٥]

﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٣٢: يوسف].

"استعصم": صيغة مبالغة على وزن استفعل، تدل على الامتناع البليغ، والتّحفظ الشديد، وإشارة إلى براءة يوسف وتمنعه عليها، وهو إقرار منها ببراءته.[٥٦]

"لئن لم يفعل": يتناسب مع شخصية المرأة التي تأمر فتُطاع.

"آمره": أي موجب أمري ومقتضاه، وهي صيغة أمر وتهديد، وهي لغة من تعوّد الأمر والنهي في أخص خصوصيات الناس؛ فللبيئة أثرها في اللغة والأساليب.

"ليسجنن": فعل مقترن بالنون المشددة؛ لتأكيد السجن وتحققه.

أما "وليكونًا": فهو فعل مقترن بالنون الخفيفة؛ لأنّه غير متحقق فهي متأكدة من قدرتها على سجنه، ولكنّها غير متأكدة من قدرتها على إذلاله وصغاره.

وتتمكن امرأة العزيز بمكرها من إبداع يوسف السجن،وتمرُّ الأيام إلى أن يشاء الله في إحقاق الحق وبيانه؛ ويرغب الملك في استخلاص يوسف لنفسه، فيشترط يوسف أن يُعاد الحق لأصحابه، بسؤال ﴿النِّسوَةِ اللاّتي قَطَّعنَ أَيْدِيهُنَّ﴾ وقد ذكر النسوة ولم يذكر امرأة العزيز هنا،لأنها لم تقطع يدها معهنّ. فيستجيب الملك لطلبه،ويستدعي النسوة قائلاً لهنّ. قال تعالى: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾[٥١: يوسف].

"ما خَطْبُكُنّ": ما شأنكنّ، والخطب هو الأمر الجلل؛ فكأن الملك قد تحقق من الموضوع قبل أن يواجه النسوة.

"إِذْ رَاوَدتُّنّ يوسف"هل وجدتنّ منه ميلاً إليكُنّ.

"قُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ": تعجبًا من عفته، وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة، ومن نزاهته عنها، وهي تقال في موضع الدهشة.

قال تعالى: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾[٥١: يوسف].

"الآن": ظرف زمان يدل على وقوع الحدث بعد مقاومة طويلة، أو تمادٍ في العصيان، وهذا التّعبير أوحى بمدى محاولات امرأة العزيز لنيل مرادها من يوسف.

"حَصْحَصَ": فعل بمعنى ظهر الحق ظهورًا واضحًا، بعد محاولات اخفائه. وهو يحمل معنى الاستسلام، والرجوع إلى

الصواب والطريق السديد، وحصحص الحق بمعنى انحاز عن الباطل وانفصل عنه "والتعبير بصيغة الماضي مع أنّهُ لم يثبت إلا من إقرارها الذي لم يسبق لأنه قريب الوقوع فهو لتقريب زمن الحال مع المضي. ويجوز أن يكون المراد بثبوت الحق بقول النسوة: (ما علمنا عليه من سوء) فيكون الماضي على حقيقته، وتقديم اسم الزمان للدلالة على الاختصاص أي الآن لا قبله للدلالة على أن ما قبل ذلك الزمان كان زمن باطل وهو زمن تهمة يوسف عليه السلام بالمراودة".(٥٧)

"الحق"وردت معرّفة بأل التعريف تعظيمًا له، أي ظهر وانكشف الحق بعد اخفائه وهو بريءٌ من الخيانة وصادق في قوله.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[٥٢: يوسف]هذا استمرار لاعتراف امرأة العزيز، وقصدها: ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥٣: يوسف].

الخطاب هنا على لسان امرأة العزيز وكان يمكن أن تقول: "إن نفسي لأمارة بالسوء" فتفوت على نفسها فرصة الاحتماء بالطبيعة الإنسانيّة، حين تؤكد اتّهام النّفس على اطلاقها، في موقف تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظن بها، بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ. ومن هنا كان اختيار كلمة (النّفس) لتعم نفوس البشر جميعًا ومنها نفسها هي"(٥٨).

إذا تأملنا مفردات النّص في أبنيتها المختلفة، نجد أن هناك انتقائية قصدية في اختيار المفردات التي شكّلت فضاء النّص، فهي مفردات مليئة بالإحساس الأنثوي، الذي ينبئ عن خصوصية الكلمة لدى المرأة، فيكشف لغة خطابها.

المستوى التركيبي النحوي:

إنّ التّنويع في مستويات التركيب النّحويّ من أساليب القرآن الكريم وغيره:فهو تنوّع في صياغة الجمل والأفعال والمعطوفات والضمائر، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والجمع والإفراد، والفصل والوصل، ولا شك أن أي تحوّل في المبنى يؤثر في تشكّل المعنى وفهمه.

لحظ البحث في الجزئية التي تناولها من سورة يوسف التّراكيب النّحويّة الآتية:

١ كثرة الجمل الفعليّة:

الجمل الفعليّة في أصل وضعها تدل على الحركة والنشاط والحيويّة؛ فهي تملك الزمن الماضي والحاضر والمستقبل ولها أشكال متنوعة، ويمكن التغيير في تركيبها الدّاخلي ومن ثمّ فهي تساعد المرسل على تنويع الأسلوب، وتعينه على استخدام أدواته الإقناعيّة، وتعطيه سعة في الانطلاق داخل الزمن في حديثه عن الماضي والانتقال إلى الحاضر والمستقبل. ومن أمثلة الجمل الفعليّة في خطاب المرأة في السورة:

- أكرمي مثواه.
- راودته التي هو في بيتها.
- غلقت الأبواب.
- قالت هيت لك.
- قال معاذ الله.
- هم بها وهمت به.
- استبقا الباب.
- قدّت قميصه.
- ألفيا سيّدها.
- قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا.
- قال هي راودتني.
- "قال: إنّه ربي".
- "قال: نسوة".
- .....
- .....

ولعلّ السبب في كثرة ورود الجمل الفعليّة أسلوب القصة السرديّ.

٢ التكرار:

إن صفة التكرار على مستوى الشكل اللّغويّ، وعلى

مستوى الدّلالة اللّغويّة، تجعل الخطاب أكثر حيويّة وتفاعلاً[٥٩] والقيمة التعبيريّة للتكرار أنّه يُجسّد المعنى المُراد ويُبرزه.ومن الألفاظ والمعاني التي تكرّرت في سورة يوسف الآتي:

١ المراودة: حيث وردت في الآيات التالية:

- ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾.
- ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾.
- ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾.
- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾.
- ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

ذكرنا أن معنى "المراودة" في المعاجم اللّغويّة هو: المخادعة والمراوغة والمداراة، وأن تنازع غيرك إرادته، وتريد غير ما يريد، أي العمل بخفاء، ومحاولة الوصول إلى الغاية، بوسائل غير مباشرة.ولعلّ الغاية من تكرار لفظة "المراودة" هي تبرئة يوسف من هذا الأمر الذي اتّهم به، وبيان المحاولات المتكررة من امرأة العزيز لإغرائه وإغوائه، وثبات النبي على عصمته وخلقه العظيم؛ فهو من باب التّركيز على المحنة التي عانى منها.

وأما ذكره "المراودة" في الآية الأخيرة فتشير إلى بعض السلوكات السلبيّة التي يمارسها الأشخاص لتحقيق غاياتهم ومصالحهم، فهذا الأسلوب لا يستخدم إلا في تحقيق الأغراض غير المشروعة.

٢ الكيد: وقد ورد في الآيات الآتية:

- ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾.
- ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.
- ﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

- ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.
- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

لعلّ تكرار لفظة "الكيد" انتصاراً ليوسف، ليؤكد أن ما حدث له كان نتيجة تدبير وتخطيط محكمين؛ فكل ما مرّ به يوسف من أزمات كان مدبراً، ومحكماً في التخطيط والإعداد والتنفيذ. ولعلّ السبب في تكرار اللفظة عدم تكرار قصة سيدنا يوسف أو توزيع أحداثها في مواضع أخرى من القرآن الكريم، على غرار القصص القرآنيّة الأخرى. كما أن خصوصيّة الموقف تؤثر في اختيار أنماط الكلام وأنواعه؛ فيكثر تداول ألفاظ معينة في مواقف خاصة وفقًا للحاجة وتداعياتها.

-﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: "تكررت لفظة ربي في الآية وفي التكرار تأكيد إلا من رحمه الله بالعصمة، وتكرار لفظة ربي الثانية تشير إلى أن ربي عظيم المغفرة واسع الرحمة". [٦٠]

٣ التّقديم والتأخير:

- ﴿هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ قُدّم فعل همّ المرأة على فعل همّ يوسف لأنّها هي البادئة بالفعل وقد جاء بعد مراودتها له عن نفسه.

﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: والتقديم هنا بترتيب الكلمات حيث قدمت امرأة العزيز عقوبة السجن على العذاب الأليم " فأرادت إظهار غضبها أمام زوجها، وجب التهمة عن نفسها وتخويف يوسف عليه السلام فأرادت اقتراح السجن باقتراح أكثر عنفًا هو تعريضه للعذاب الأليم" كما أن "تقدم الجار والمجرور المضاف إلى ضمير المخاطب العائد إلى العزيز (بأهلك) على المفعول به (سوءا) دالّ على مكر امرأة العزيز، فقد قدمت ما يحرص عليه الرجل صيانته أو حمايته هو العرض لإثارته على يوسف وتبرئة ذاتها من هذه الشبهة[٦١]".

-﴿قَالَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾: تقديم المبتدأ على خبره الذي هو فعل يفيد القصر، وهو قصر قلب للرّد عليها.

- ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾: جاء تقديم الضمير أنا في الجملة الخبريّة دالاً على حسن ترتيبها لأولويات عناصر الخطاب؛ لأنّ الإفادة كانت تتطلب منها الإقرار بالفاعل وليس الفعل؛ ولأنّ المراودة كانت قد تأكدت للشهود، لكنّ الشك كان حول هوية المعتدي أهو يوسف أم هي؟ (٦٢) ويُفيد هذا التقديم، تقوية الحكم والتأكيد.

- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

تقدّم ذكر قدّ القميص من قُبُل، وما يترتب عليه من صدق امرأة العزيز وكذب يوسف على قدّ القميص من دُبُرٍ وما يترتب عليه من صدق يوسف وكَذِب امرأة العزيز، كما يأتي:

١ امرأة العزيز هي من بدأت بالسؤال والشكوى، فكان البحث عن دليل براءتها أولى وهو قدّ القميص من قُبُلٍ.

٢ هناك سببٌ خفي في نفس العزيز، وهو رغبته الداخليّة في أن تكون امرأته الصادقة ويوسف الكاذب؛ فأراد الاستعجال في التحقق من ذلك، لعلّ النتيجة تُسْفِر عن رغبته.

٣ إنّ في هذا التّقديم إشارة إلى أنّ قضايا وحقوق أصحاب السلطة والجاه تأتي على رأس أولويات البحث والمتابعة في القضايا التي تهمهم.

- "الآن حصحص الحق": "تقدم الظرف على الفعل والفاعل وقد يعكس تقديم الظرف صفة من صفات المتكلم وطباعه، ففي تقديم ظرف الزمان (الآن) في قول امرأة العزيز بعد أن حاولت المراوغة، دليل على طبيعة امرأة العزيز التي تحاول إغراء نبي من أنبياء الله يوسف عليه السلام ومخاصمة الأنبياء.

٤ الحذف:

"الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِن"(٦٣) والأسلوب القرآني نسق معجز حين يأتي بالحذف، ومن الأمثلة على الحذف في الآيات:

- ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: "أي تسابقا إلى الباب" على حذف الجار وإيصال الفعل إلى المفعول، كقوله: "واختار موسى قومه". على تضمين "استبقا" معنى "ابتدرا"، نفر منها يوسف، فأسرع يريد الباب ليخرج، وأسرعت وراءه لتمنعه من الخروج، ولعلّ الهدف من حذف حرف الجر بيان سرعة الحدث.

-﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ حذف منه حرف النّداء، لأنّه منادى قريب،مفاطِن للحديث، وفيه تقريب له، وتلطيف لمحله والمقصود بطلب العزيز إلى يوسف: أي أن يعرض عن ذكر ما حدث.

- ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: " وقد تحذف أداة النداء والمنادى لمفاجأة المتلقي بحضور المنادى دون أن تناديه (يا يوسف) لأنها تريد أن تفاجئهن بطلعته البهية التي لا يحيط بها وصف"(٦٤)

﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ...﴾: وهنا حذفت جملة وهي: (فخرج) والتقدير: (وقالت أخرج فخرج عليهنّ فلّما خرج رأينه).

- ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾: في الآية حذف نصي، والتقدير: فذلكنّ الذي لمتنني في حبه.(٦٥)

﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾؛ فالضمير المحذوف هنا راجع إلى الموصول، والمعنى: ما آمره به، فحذف الجار والمجرور كما في قولنا: أمرتك الخير. ويجوز أن تجعل "ما" مصدريّة، فيرجع الضمير إلى يوسف. ومعناه: ولئن لم يفعل أمري إياه، أي موجب أمري ومقتضاه.

٥ الفصل والوصل:

"الوصل جمع وربط بين جملتين (بالواو) لصلة بينهما أو لدفع اللبس، والفصل ترك الربط بين الجملتين، وبلاغة الوصل لا تتحقق إلا بالواو العاطفة دون بقية حروف العطف، لأن الواو هي الأداة التي تخفي الحاجة

ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم ودقة في الإدراك إذ لا تفيد إلا مجرد الربط"[٦٦] "والوصل معناه العطف؛ عطف الكلام بعضه على بعض" سواء أكان هذا العطف للمفرد أم للجُمَل، وسواء أكان بالواو أم بغيرها كالفاء وثم وأو والوصل هو ترك العطف[٦٧].

- و قَالَ ﴿نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. نساء المدينة شخّصن حالة امرأة العزيز؛ فهي تراود فتاها، الذي شغفها حبه، وهي في مسلكها هذا من الضالين، فلم يَربطن بين الجمل برابط الواو العاطفة؛ وهذا لشدة اندفاع النسوة في اتهام امرأة العزيز حيث كان حديثهن متسقًا، غير منقطع عن بعضه البعض.

حَاشَ ﴿لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فقد تمّ وصل الجملتين معًا دون استخدام الواو، ولعلّ هذا لعظم صفات يوسف حيث ذُهِلنَ عندما رأينه، فما كان منهنّ إلا الوصل دون استخدام الواو، وإسراعهنّ إلى التوكيد بأن هذا ملك كريم.

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾.

- ﴿لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾.

فوظيفة الواو في الآيات السابقة "ليست للعطف بل للاستئناف فيجب الوقف على (يوسف أعرض) والابتداء (واستغفري لذنبك) بذلك يتبين الفصل بين الأمرين لأن يوسف أمر بالإعراض وهو الصفح عن جهل من جهل قدره وأراد ضرره والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها؛ لأنها همّت بما يجب الاستغفار منه، فلو كانت الواو للعطف لكان يوسف عليه السلام وامرأة العزيز مشتركين في الذنب بمعنى أنه (أي يوسف) فعل مثلما فعلت، ولكنه عليه السلام همّ بدفعها عن نفسه في حين أرادت الفاحشة"[٦٨].

٦ الالتفات في الضمائر:

إنّ تلوّن الضمائر بصور مختلفة من حيث عودتها على المتكلم نفسه أو على غيره في السياق، أو من حيث إظهارها وإبهامها على القارئ، يأتي لدلالات نفسيّة هادفة، كما أنّه يتعلّق بطبيعة المعنى الذي يراد تبليغه، من حيث عمقه وقدرته على التأثير في نفس المتلقي. ومنه:

- ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا﴾؛ فالعزيز انتقل في خطابه لامرأته من ضمير المخاطب الدّال عليها إلى ضمير الجمع الدّال عليهما معًا، وهذا يوحي بالدّور التقليدي لكلٍ من الرجل والمرأة في رعاية الأبناء، فتعبير "أكرمي مثواه" يشي بأن الرعاية والعناية من مهام الأم، أما تعبير "عسى أن ينفعنا" فيشي بأن المنفعة تعمّ الأثنين؛ فالأب دوره يُقتصر على تأمين المأكل والمشرب فقط، وهذا يمنحه حق المنفعة من الابن.

- ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ و﴿وَقَدَّتْ﴾ التفات من ضمير المثنى في قوله: "واستبقا" إلى ضمير التأنيث الغائب في قوله: "وقدّت" وذلك لبيان اشتراكهما في التّسابق نحو الباب، لكنّ عملية قدّ القميص انفردت بها امرأة العزيز وحدها، فالضمائر هنا تبين دور كل منهما في القيام بهذا المشهد.

- وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾: الالتفات هنا من لفظة "سيدهما" إلى لفظة "سيدها"، لقد علل الزمخشري هذا الالتفات قائلًا: "إنما لم الجازمة يقل: "سيدهما" لأنّ ملك يوسف لم يصح، فلم يكن سيدًا له على الحقيقة، وإن لفظة "سيدي" تقولها المرأة لبعلها.[٦٩]

٧ الرّخصة في التركيب:

- ﴿مَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ المعروف أن "لمّا" حرف جزم يدخل على المضارع فهي أخت لم ولكنّها قد تدخل على الماضي، فتنتقل إلى الظرفيّة وتصبح بمعنى حين[٧٠].

٨ التوكيد:

و قَالَ ﴿نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فجملة "**إنّا لنراها في ضلال مبين**" مؤكدة ب "إنّ واللام" للإنكار عليها، وبأنها تراود فتاها يوسف، وهو توبيخ وتشنيع بها".[٧١]

- **لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ**: "قد أكد الفعل (ليسجنن) بالنون الثقيلة لأن امرأة العزيز كانت تحب يوسف وتتحرق شوقًا إلى رؤيته فطلبت السجن ليكون بالقرب منها فتستطيع أن تراه فكان هذا هو طلبها وتحرض عليه، وأكد الفعل الثاني (ليكونن) بالنون الخفيفة لأن إذلاله ليس مطلبها ولا تميل إليه"(٧٢).

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ: استخدم أسلوب التوكيد بأن في الآية؛ فالآية: (إن النفس لأمارة بالسوء) عِلّة لعدم تبرئة النفس وحسن التوكيد هنا؛ لأن السائل نزل منزلة الذي يشك في الخبر، لذلك أكدت الجملة بأن"(٧٣).

المستوى الدلالي:

نظر البلاغيون العرب إلى الدّلالة على أنّها نتاج للتّداخل الطبيعي بين مستويات اللغة. فالنّص هو جماع البنية الصوتيّة والبنية المعجميّة، والبنية التركيبيّة (الجمل التي تتحقق بتأليف الكلمات في نظام نحوي، يقرن عناصر الجملة في سياق داخلي، يتأسس من معنى جديد للكلمات غير معناها الاصطلاحي) (والبنية الدّلاليّة هي ناتج ما يفرزه السّياق من معاني عناصر الجملة، مجتمعة في نظام محدد"(٧٤).

وهذا الجزء من سورة يوسف، في أصواته ومفرداته وتراكيبه، رسم موضوعًا واحدًا ظل محورًا للخطاب حتى نهايته، وهو محنة يوسف مع امرأة العزيز. وقد جاء بناء الخطاب متماسكًا منسجمًا في شكله العام؛ فالموضوع ربط بين المفردات والتراكيب على طول الخطاب، حيث نجد نموًا وتطورًا متسلسلاً يصل إلى القمة في نهاية الخطاب، فقد بدأت الافتتاحيّة في الخطاب بخطاب العزيز لامرأته، بعد شراء يوسف من السيّارة وإحضاره إلى البيت، ثم انتقل الحوار إلى موضوعات تناولت ما يأتي:

١ المراودة: متى بدأت، من قام بها، دواعيها، موقف يوسف منها.

٢ الهمّ: من الذي بدأ به، اشتراك يوسف في الهمّ، عصمة يوسف، الاستباق إلى الباب، قدّ القميص، اتّهام يوسف بالسوء، التحقيق في الموضوع، ثبات صدق يوسف وكذب امرأة العزيز، إطلاق الكيد على امرأة العزيز، الطلب من يوسف التّكتّم على الموضوع، الطلب من امرأة العزيز الاستغفار لذنبها.

٣ **حديث النسوة في المدينة**: افتتان امرأة العزيز بفتاها وهي الكبيرة مكانةً وسنًا، مكر امرأة العزيز ودهاؤها، خروج يوسف إلى النسوة، حال النسوة المدعوات للطعام عندما رأين يوسف، انتصار امرأة العزيز لنفسها، تهديد امرأة العزيز ليوسف، سجن يوسف.

٤ **براءة يوسف**: سؤال النسوة عن حقيقة المراودة، رفع التّهمة عن يوسف، اعتراف امرأة العزيز بخطئها وتبرئة يوسف.

نلحظ أن المفردات وزعت على جملة من الحقول الدّلاليّة؛ فأدّت دورًا بارزًا في تشكيل موضوع الخطاب العام، وجاءت هذه المفردات من حقول مختلفة لخدمة الحقل العام، وهو حقل خاص بامرأة العزيز ومحنة يوسف معها.

ومن أهم المفردات التي شكّلت حقلاً واسعًا داخل الخطاب:

- حقل الإكرام: **أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**.
- حقل المنفعة: **عَسَى أَن يَنفَعَنَا**.
- حقل المراودة: **رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا**، وقد بلغ تكرار هذا الحقل سبع مرات بصيغٍ مختلفة.
- حقل الهمّ: **لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا**.
- حقل التّحاور: **جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**.
- حقل الشهادة: **شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا**.
- حقل الاستعصام: **مَعَاذَ الله إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**، **إِن رَّاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**.
- حقل الكيد: **إِن كَيْدَكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**،

وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

- حقل الاستغفار: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾.
- حقل حديث النسوة: ﴿قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾.
- حقل المكر: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾.
- حقل اللوم: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾.
- حقل التهديد: ﴿لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾، ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.
- حقل التحقيق: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾.
- حقل البراءة: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.
- حقل النفس الأمارة بالسوء: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي﴾.
- حقل طلب الاستغفار: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

إن مجمل الحقول الدّلاليّة هي جُلّ ما انطوى عليه خطاب المرأة، في جزئية من حياتها تمثّلت في غرائزها واندفاعاتها الأنثويّة، وجاءت الحقول الدّلاليّة بمفرداتها، لتعبّر عن ألوان الضعف البشري، بما فيه لحظات الضعف الجنسي، كما أنّها صوّرت النّفس البشريّة بواقعيتها الكاملة في مثل هذه المواقف.

وقد كشف هذا الخطاب عن التّلاحم بين محتواه ولغته وأسلوبه؛ فكل كلمة وكل جملة أو تركيب جاء في أوانه المتوقع له زمانًا ومكانًا.

المستوى الأسلوبي:

تتعدد موضوعات القرآن الكريم ومعانيه؛ فمن دعوة إلى التّوحيد، إلى قصص الماضين وأخبارهم، إلى حديث عن اليوم الآخر والجنة والنار... وتبعًا لتعدد موضوعاته تتنوع أساليبه وأدواته في التعبير عنها.

اشتملت هذه الآيات من سورة يوسف جملة من المظاهر الأسلوبيّة التي منحته طبقة عليا من متانة النّظم، وجودة السّبك، فجاء خطابًا منسّقًا منسجمًا، تطرب له الآذان وتتساق إليه العقول، وتهوي إليه القلوب. ومن الأساليب التي لمحها البحث في هذه الجزئية من سورة يوسف الآتي:

١ **التمهيد وحُسن المطلع:**

بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

"تلكَ" إشارة إلى آيات السورة "والكتاب المبين" السورة؛ أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة، فنحن نقصُّ عليك أحسن ما يقُص من الأحاديث، وإنّما كان أحسنه لما يتضمّن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها، فبعد أن بيّن أنّه سيقصّ عليه بعض القصص ذكر قصة سيدنا يوسف عليه السلام بادئًا بلوحة المحنة الأولى في حياته، وهي محنة الاغتراب عن أبيه حيث ألقاه إخوته في الجبّ، ثمّ ينتقل للحديث عن لوحة المحنة الثانيّة وهي محنة الاتّهام بمراودة امرأة العزيز، ثم ينتقل للحديث عن لوحات مهمة في حياة يوسف؛ فتناسب التقديم مع التّعقيب.

٢ **المفردات والتراكيب سهلة وواضحة:**

جاءت كلمات السورة مُريحة ومعبرة، والجمل قصيرة، لم تخفت برغم ما في الموضوع ما يثير الدّهشة، والشعور بازدراء المرأة، إلا أنها عبّرت عن الألم الذي يصحب الاعتذار بقولها: "وما أبرئ نفسي" كما عبّرت عن عتابها للنسوة في قولها:"فذلكن الذي لمتنني فيه"، ثم عبّرت عمّا في نفسها بكل صراحة قائلة:"ولقد راودته عن نفسه فاستعصم" فكان الخطاب سهلاً واضحًا يشف عن معناه دون عناء أو جهد، متسلسلاً

ينساب في أحداثه كالماء السائغ يغري شاربه بالمزيد.

٣ أسلوب الاستفهام:

- قالتْ﴿مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: "ما" تحمل معنيين: إما أنها نافية، أي ليس جزاؤه إلا السجن، أو استفهاميّة، بمعنى أي شيء جزاؤه إلا السجن[٧٥]. ولعلّ المعنى الثاني أقرب إلى الصواب، فهي أرادت أن تبدأ بالسؤال قبل أن يبدأ العزيز بسؤالها عمّا شاهده، وواضح أن السؤال هنا لا يحتاج إلى إجابة بقدر ما هو تحويل للحدث باتجاه آخر لتشتيت ذهن العزيز وإخراجها من أزمة الموقف، وهو من أساليب مكر النساء.
- مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. يريد يوسف من الملك أن يقف على حقيقة أمر سجنه؛ فيظهر الحق من الباطل وتبرأ ساحته.

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾. ما شأنكنّ هل وجدتنّ منه ميلاً؟ فكان الجواب: "حاشا لله"، وفي الجواب تنزيه لسيدنا يوسف عليه السلام وتعجب من عفته وطهارته.

٤ أسلوب التّعميم:

- قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ثم تصرّح امرأة العزيز بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءًا، لأنها قصدت العموم؛ فكل من أرادَ بأهلكَ سوءاً حقه أن يسجن أو يعذّب، لأنّ ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف[٧٦].
- وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾: العزيز يعمم ليوسع الدائرة، فلم يَقُلْ من الخاطئات؛ لأنّ العزيز كان قليل الغيرة، ويقال: إنّ تربة إقليم قطفير اقتضت هذا التعبير"[٧٧]. "وهنا تبدو لنا صورة من الطبقة الراقيّة في الجاهليّة قبل آلاف السنين، وكأنها هي اليوم شاخصة أمامنا.

وربّما جاءت لغة الخطاب على هذا النّسق لضعف العزيز؛ فهو كبير في السن ويدرك عجزه عن القيام بدوره كزوج.

- إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ﴾: التعميم هنا من باب تخفيف أثر التّهمة على امرأة العزيز، وهذا الخطاب عام للنساء مطلق، ولم يخصص بزوجة العزيز وحدها.

٥ أسلوب الأمر:

"وهو طلب الند من الند؛ أي طلب الفعل الصادر عن الأنداد والنظراء المتساوين قدراً ومنزلة".[٧٨]

- أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾: وهو أمر من العزيز إلى زوجته، وفعل الأمر يحمل معنى الالتماس الذي يشتمل على طلب مشفوع بحسن الضيافة والاستقبال.
- ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾: وهو أمر من العزيز إلى زوجته، يفيد اللوم.
- اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾:وهو أمر من امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام.
- يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: وهو أمر من العزيز إلى يوسف يفيد الالتماس؛ لأنه ثبت إدانة امرأة العزيز وبراءة يوسف ومن ثمّ التمس العزيز من يوسف كتمان الأمر.

٦ أسلوب النداء:

وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: حذفت أداة النداء والمنادى لمفاجأت المتلقي بحضور المنادى دون أن تناديه (يا يوسف) لأنها تريد أن تفاجئهن بطلعته البهية التي لا يحيط بها وصف.

٧ التعميم بعد التخصيص:

وما أُبَرِّئُ نفسي إنّ النّفسَ لأمّارة بالسوءِ إلاّ ما رَحِمَ ربيّ إنّ ربيّ غَفُورٌ رحيمٌ﴾.

خصّت امرأة العزيز نفسها بالجُرم، ثمّ خرجت إلى أنّ السوء ظاهرة عامة تعتري جميع البشر؛ "لذلك عدلت عن الإضافة إلى التّعريف بأل، لتجعل السوء طبيعة جنس النفوس التي منها نفسها، فيبدو ذنبها أخف مما لو أضافت النّفس إلى ضميرها هي، ف"ال" ربطت لأنها للجنس النسبي"[٧٩].

٨ السبر والتقسيم:

نَ ﴿وَجَدَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

والسّبر هنا على النّحو الآتي:

لا يخلو الأمر إمّا أن يكون القميص قُدَّ من قُبلٍ أو أنه قُدّ من دُبرٍ . فإن كان قميصه قُدَّ من قبل، فإنّه هو الذي راودها، وهي التي دفعته فشقت قميصهُ وإن كان قميصهُ قُدَّ من دُبر فإنّه هرب من مراودتها إياه، فأمسكت بقميصه من دبر فشقته. وقد يحلو للبعض أن يلاحظ أن قوله تعالى: "صَدَقَتْ" وقوله: "كَذَبَتْ" دخلت فيهما الفاء على الماضي، مما يشير إلى حذف "قَدْ" لأنّ "قَدّ"، هي التي توجب دخول الفاء، ولكن التقدير الأوضح للمعنى أن المحذوف ضمير مبتدأ، تقديره "فهي"، ويحسن ذلك ما يقابله بعد هذا من قوله: "وهو من الكاذبين"، وقوله: "وهو من الصادقين"أي إنّ تقدير الكلام: فهي كذبت وهو من الصادقين. والمعروف أن جواب الشرط إذا وقع جملة اسميّة، وجب اقترانه بالفاء(٨٠).

٩ رسم الخطاب صورة لجانب حيويّ من جوانب حياة المرأة:

صوّر الخطاب القرآني المرأة في سورة يوسف كأنموذج بشريّ؛ فغاص في أعماقها، وتناول خلجة من خلجات نفسها، وركّز على جوانب الضعف فيها، فكشف ما ستر من طبيعتها، بأسلوب راقٍ لم يحط من شأنها؛ فأظهرت الآيات جانب التّمرد غير المألوف في طبيعة المرأة، التي سِمَتُها الحياء والعفة.

إضاءات كشف عنها البحث:

بعد مدارسة الآيات المعنيّة بالبحث أسفرت الدّراسة عن الملاحظ الآتية:

١) انطوى خطاب المرأة في سورة يوسف على أسرار لغويّة جمة، ارتقت إلى مستوى الأفكار والمعاني المطروحة فيه.

٢) جاء الخطاب منظومة لغويّة مؤتلفة ومنسجمة في مفرداتها وتراكيبها وأساليبها، يشدُ كل منها الآخر، فتفضي كل واحدة منها إلى الأخرى، ولا تخل بها لتعبّر عن المعاني والأفكار بدقة، وبأسلوب رائق ممتع، كشف عن جزئية من منظومة حياة المرأة.

٣) إن القرآن حافظ على إنسانية المرأة، فلم يخاطبها بكلمات مهينة وهي في مواقف حرجة، بل خاطبها بكلمات غاية في الصفاء والنقاء، والخطاب بهذه الصورة يشير إلى إدراك القرآن أن المرأة ليست من الملائكة بل هي بشر، لذا راعى الحالة النفسيّة لها.

٤) تتغير صفات الخطاب وعناصره تبعًا لمنزلة المخاطَب والمخاطِب والأحوال التي تقترن بهما.

٥) للمرأة لغتها التي تميزها، فتتجلى عندها خصوصية الكلمة التي تتواءم مع الحروف والجمل؛ لتكوّن نسيجًا لغويًا خاصًا.

٦) إن خطاب المرأة لم يكن على مستوى واحد، بل كان متفاوتًا تبعًا للمستوى الثقافي والحضاري، فلغة الخطاب تتناسب والمكانة الاجتماعيّة للشّخص.

٧) إن الخطاب يختلف باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم، وأحوال بيئتهم، ..وإن طرائق الخطاب تتلاءم بما يلائم نفسية المخاطب.

٨) إنّ خطاب المراة جاء بأساليب مختلفة منها: الإخبار والأمر والنهي والاستفهام...

٩) إنّ الخطاب القرآنيّ تعامل مع النّفس البشريّة في واقعيتها الكاملة، متمثّلة في نماذج بشريّة مختلفة، منها نموذج امرأة العزيز بكل غرائزها، واندفاعاتها الأنثويّة.

١٠) إنّ الخطاب القرآني منح المرأة حريّة التعبير عن عواطفها، ومشاعرها، وميولها ورغباتها كأي إنسان، كما أنّه عبّر عن قوة شخصيّة المرأة ودهائها وكيدها.

الهوامش:

(١) منى محمد هنداوي، **قصص المرأة في القرآن الكريم**، دراسة موضوعية، مكتبة وهبة، ١٩٩٩، (ط١)، ص٥٠.

(٢) محمد علي الصابوني، **تفسير السور الكريمة** (سورة **يوسف، الرعد، ابراهيم**) بيروت، مكتبة الغزالي، ١٩٨١، ص٣٧.

(٣) السياق: هو كل ما يحيط بالحدث الكلامي.

(٤) علي بن أحمد الواحد النيسابوري، (٤٠٥ هـ، ١٠١٤م) أسباب النزول، لجنة تحقيق التراث، بيروت دار مكتبة الهلال، ١٩٨٣، (ط١) ص ١٨٩.

(٥) جمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، بيروت، دار صادر، مادة (خ ط ب).

(٦) جار الله محمود الزمخشري (ت ٥٢٧هـ/ ١١٣٢) أساس البلاغة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٨٥ (ط٣)، ج١، ص ٢٣٨.

(٧) محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٢ (ط١) ص ٧٦.

(٨) مجموعة من كبار العلماء اللغويين العرب، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط لاروس، ص ٤٠٤.

(٩) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م) **الكليّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة)**، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٢، ص ١٩٤.

(١٠) خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة **بين النّص والسّياق**، اربد، عالم الكتب الحديث، (٢٠٠٥)، (ط١)، ص ٢٣.

(١١) عبد السلام المسدي، **اللسانيات من خلال النصوص**، الدّار التونسيّة للنشر، ١٩٨٦، (ط٢)، ص ١٧١.

(١٢) أحمد الجبالي، **أشهر النساء في التاريخ**، المركز العربي الحديث، ١٩٨٦، ص ٥٧.

(١٣) هنداوي، مصدر سابق، ص ٤٥.

(١٤) عبد الوهاب كحيل، **الجريمة والجنس**، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩١، (ط١) ص ١٧٢.

(١٥) عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، بيروت، منشورات المكتبة العصريّة، ص ٣١.

(١٦) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٢٨ والجبالي، أشهر **النساء في التاريخ**، ص ٧٥.

(١٧) نفسه، ص ٤٢٨.

(١٨) نفسه، ص ٤٣٦.

(١٩) اعتمد في ترتيب هذه الأصوات على كتاب إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغويّة**، القاهرة، دار النهضة العربيّة، ١٩٦١، (ط٣)، ص ٢٢ ٢٦.

(٢٠) أنيس، نفسه، ص ٢١.

(٢١) حابس القعايدة، **سورة يوسف دراسة بلاغية**، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥، ص ١٢.

(٢٢) أنيس، مصدر سابق، ص ٧١.

(٢٣) انظر: عبد القادر عبد الجليل، **الأصوات اللغوية**، عمان، دار صفاء، ١٩٩٨، (ط١)، ص ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧.

(٢٤) هذا الجدول مأخوذ من دراسة أعدّها حابس القعايدة، مصدر سابق، ص ١٥، ١٦.

(٢٥) إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ١٩٨١، (ط٥)، ص٢٨.

(٢٦) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤/ ١٣٩١م) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧، ج١، ص ٦٨.

(٢٧) انظر، سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣، (ط٨)، ص ٨٧ وما بعدها.

(٢٨) جار الله محمود بن الزمخشري (٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) الكشاف، تحقيق مصطفى حسين أحمد، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٩٨٧ (ط٣) ج٢، ص ٤٥٤.

(٢٩) شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، (٢٠٠١) (ط١)، ج٦ ص ٤٠٣.

(٣٠) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٥٥.

(٣١) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢م) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البدري، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ (ط١) ج٩، ص ١٠٩.

(٣٢) محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في **القصة القرآنيّة**، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١ (ط١)، ص ٩٣ ٩٤.

(٣٣) تمام حسان، **البيان في روائع القرآن** دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، ٢٠٠٠ (ط٢)، ج١، ص ٣٧٦

(٣٤) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٥٨.

(٣٥) ابن منظور، مصدر سابق، مادة (قدّ).

(٣٦) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٥٩.

(٣٧) سليمان الطّراونة، **دراسة نصيّة (أدبيّة)** في القصة **القرآنية**، ١٩٩٢ (ط١)، ص ٣٠٥ ٣٠٧.

(٣٨) أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠١، (ط١) ج٥ ص ٢٩٧.

(٣٩) انظر: الألوسي، مصدر سابق، ج٦، ص ٤١٠.

(٤٠) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٦١.

(٤١) منى محمد هنداوي، مصدر سابق، ص ٤٦ ٤٧.

(٤٢) الألوسي، مصدر سابق، ج٦، ص ٤١٥.

(٤٣) ابن منظور، مصدر سابق، مادة (عرض).

(٤٤) انظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٦١.

(٤٥) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ٤٦٢.

(٤٦) عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٢٨م)، فقه اللغة **وأسرار العربية**، تعليق: ياسين الأيوبي، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٩٩، (ط١)، ص ٣٦٧.

(٤٧) انظر: الألوسي، روح المعاني، ج٦، ص ٤١٦.

(٤٨) الثعالبي، مصدر سابق، ص ٢١١.

(٤٩) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٦٢

(٥٠) غدير الشمايلة، خطاب **المرأة في القرآن الكريم** "دراسة **بلاغيّة**"، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧، ص ١٨٧.

(٥١) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٦٣.

(٥٢) نفسه، ص ٤٦٢.

(٥٣) ابن منظور، مصدر سابق، مادة (كبر).

(٥٤) انظر، الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٦٤.

(٥٥) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٦٧.

(٥٦) انظر: المصدر نفسه، ص٤٤٠.

(٥٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، دار تونس للنشر، ١٩٨٤، ج١٠، ص ٢٩١.

(٥٨) تمّام حسان، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٢.

(٥٩) مازن الوعر، **اللسانيات وتحليل الخطاب**، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، ١٩٩٧، ص ٢٣٤.

(٦٠) القعايدة، مصدر سابق، ص٧١.

(٦١) فوز نزال، **لغة الحوار في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، عمان الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣، ص٢٤٢.

(٦٢) غدير الشمايلة، مصدر سابق، ص ١٨٧.

(٦٣) عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م)، دلائل **الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤، ص ٨٨ ٨٩.

(٦٤) نزال، مصدر سابق، ص ٣٧٧.

(٦٥) محمود الهواوشة، أثر عناصر الاتساق في التماسك النص، **سورة يوسف مثالاً**، عماد الدني للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، (ط١)، ص ١٨٨.

(٦٦) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تحقيق محمد التونتجي، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢١٦.

(٦٧) بسيوني فيود، علم المعاني، القاهرة، مؤسسة المختار، ١٩٩٨، ج١، ص١٣١.

(٦٨) محمد علي المدني، **الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو**، رسالة ماجستير، عمان، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤، ص ٢١

(٦٩) الزمخشري، الكشاف ج٢، ص ٤٥٨.

(٧٠) تمام حسان، **البيان في روائع القرآن**، ص ٦٥.

(٧١) جمال رفيق يوسف الحاج علي، النظم القرآني في **سورة يوسف**، رسالة ماجستير، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٠، ص ٣٨

(٧٢) محمد حسين أبو الفتح، **أسلوب التوكيد في القرآن الكريم**، مكتبة لبنان، ١٩٩٥، (ط١)، ص١٦٦.

(٧٣) نفسه، ص ١٣٤

(٧٤) خلود العموش، مصدر سابق، ص ٦٤.

(٧٥) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٥٩.

(٧٦) نفسه، ص ٤٥٩.

(٧٧) أبو حيان، مصدر سابق، ج٥، ص ٢٩٨.

(٧٨) جمال رفيق يوسف الحاج علي، مصدر سابق، ص٩١.

(٧٩) تمام حسان، مصدر سابق، ص١٨٨.

(٨٠) نفسه، ص٣٣٨ ٣٣٩.